منهج التفسير اللغوي

هو المنهج الذي يعتمد على استخلاص معاني الآيات الكريمة عن طريق اللغة ؛ إذ يرى أصحاب هذا المنهج في النص القرآني إضافة الى كونه نصا دينيا هو نص أدبي ، معجز في لغته وبلاغته وفصاحته . وقد شكل أصحاب هذا المنهج مدرسة خاصة بهم ، تميزت أبعادها في البحث عن لغة القرآن ، وعن مجازات القرآن ، وغريب القرآن ، و معاني القرآن ، ومفردات القرآن ولعل عبد الله بن عباس هو أول من اعتمد هذا المنهج اللغوي في التفسير، ويهتم هذا الاتجاه بمفردات القرآن الكريم وشكل الألفاظ القرآنية (النحو والصرف والدلالة)، وكان موضوعه : إعراب القرآن وغريبه والوجوه والنظائر فيه.

أما أهمية هذا الاتجاه فتظهر بالنظر إلى أن تفسير القرآن منه ما يرجع فيه إلى الوحي نفسه كتابا وسنة ، ومنه ما يتوقف فهمه على الرجوع إلى اللغة التي أنزل الله تعالى بها كتابه ، وظهرت الحاجة إلى شرح غريب مفردات القرآن، وتتبع جوهره، والبحث في إعرابه خلال عصر التابعين، فقد كانت السليقة العربية تغني مجمل الصحابة عن السؤال والبحث عن ذلك، وكان من المتعذر أن نجد من ألفاظ القرآن، وإعرابه ما خفي على جمهور الصحابة، وإن وجد من تلك الألفاظ ما استعصى على بعضهم، فكان العلم باللغة كالعلم بالأنساب عندهم، إن وجد منهم من توقف في شيء منه، فإن ذلك لا يخفى على جمهورهم حتى لا يعرفه أحد منهم.

قال أبو عبيدة (تـ : ٢١٠ هـ) : ("فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه..".

لكن في عصر التابعين احتاج الناس إلى السؤال عن غريب لغة القرآن، ثم احتاجوا إلى إعرابه، وذلك بسبب عوامل ثلاثة :

١ - ضعف السليقة، وقد كان العرب قديما يربون أبناءهم في البادية حفاظا عليها.

٢ - اختلاط المسلمين العرب من الفاتحين بغيرهم من الأقوام عن طريق المصاهرة.

٣ - دخول عامة العجم إلى الإسلام وحاجتهم لمعرفة تعاليمه.

فظهرت بذلك الحاجة إلى البحث في لغة القرآن بسبب فشو اللحن، وفساد اللسان، واهتم المفسرون منذ عصر التابعين بإعراب القرآن، وحرصوا على ذلك قبل تقعيد علم النحو، لإدراكهم بأن الإعراب هو الذي يقيم المعنى، وفي آخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني اتسع مجال الاهتمام بلغة القرآن، وتنوعت العلوم التي تخدم هذه المادة، فظهر علم نقط القرآن وشكله، وعلم الوقف والابتداء، وعلم الغريب، وعلم لغات القرآن، وغيرها من العلوم.

وقبل أفول القرن الثاني الهجري ظهر في إطار الاتجاه اللغوي التأليف في :

- إعراب القرآن الكريم.

- غريب مفردات القرآن

- علم الوجوه والنظائر.

وحين ابتدأ عصر التصنيف اتجه المؤلفون في التفسير اللغوي إلى إفراد كل واحد من المناحي الثلاثة السالفة بالتأليف، تطور هذا الاتجاه في منحيين اثنين :

المنحى الأول : غلب عليه الاهتمام بمفردات القرآن، وما اتصل بها من بحث في الغريب والاشتقاق، والتصريف، والوجوه، والنظائر.

والمنحى الثاني : اتجه إلى الاهتمام بإعراب القرآن.

وسعى أهل اللغة حين صنفوا في التفسير إلى إبراز فروع علم اللغة التي نبغوا فيها من خلال تفاسيرهم، وقد وجد من المفسرين اللغويين من جنح إلى التصنيف الموسوعي الذي يهتم باستيعاب مختلف علوم اللغة، والاستفادة منها في فهم آيات القرآن. وقد درج التأليف في المفردات عند المفسرين اللغويين في منهجين :

- طائفة منهم تتبعت المفردات حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، وعلى هذا المنهج سار جل اللغويين.

- وطائفة ثانية رتبت مفردات القرآن على حروف المعجم.

وقد اتجهت همة المفسرين عامة – وأهل اللغة منهم خاصة – على بحث مفردات ألفاظ القرآن، لأن تحصيل معانيها هي الخطوة الأولى لمعرفة مراد الله تعالى فيما أنزل على رسوله وأهم ما ألف في غريب القرآن على ترتيب المصحف :

- مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى / تـ :٢١٠ هـ
- معاني القرآن : لسعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش الأوسط.
- تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله المشهور بابن قتيبة / تـ :٢٧٦ هـ.
- غريب القرآن وتفسيره : لابن المبارك اليزيدي / تـ : ٢٣٧ هـ
- معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس / تـ:٣٣٨ .

وأهم ما ألف في غريب القرآن على ترتيب المعجم : • تنوير القلوب : لأبي بكر محمد السجستاني / تـ:٣٣٠ هـ. • و مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني / تـ :٥٠٢.